

## اللوبي الصهيوني والمعونات الأمريكية لإسرائيل

2006/04/25

أثارت الدراسة التي نشرها اثنين من أبرز أساتذة العلاقات الدولية في أمريكا حول دور اللوبي الصهيوني في توجيه سياسة أمريكا الشرق أوسطية عاصفة من الغضب والانتقادات القاسية والتشهير بالمؤلفين. ولقد قام كاتبها الدراسة، وهما جون ميرشهايمر وستيفن وولت الأستاذين بجامعة شيكاغو وهارفارد على التوالي، بنشر الدراسة في مجلة بريطانية وذلك لقناعتهم بعدم وجود مجلة أمريكية لديها ما يكفي من الجرأة لنشر مثل تلك الدراسة. وإذا كانت جامعة هارفارد معروفة للجمهور العربي بوجه عام، فإن جامعة شيكاغو تصنف دوماً من بين أهم عشرة جامعات في أمريكا، وأن عدد الأساتذة الحاصلين على جوائز نوبل من العاملين فيها يتجاوز عددهم في أية جامعة أخرى في العالم.

جاء الغضب الصهيوني وحملة التشهير بالأستاذين من قبل يهود أمريكا، خاصة من القائمين منهم على إدارة المؤسسات والمنظمات اليهودية الرئيسية، ومن بينها اللوبي الصهيوني بالطبع. ويعتبر هؤلاء أهم القوى الداعمة لإسرائيل على الساحة الأمريكية، حيث لا يخفون انحيازهم الكامل لإسرائيل والتزامهم بأقصى سياسات التطرف والعنصرية التي تمارسها الحكومات الإسرائيلية على الأرض الفلسطينية. كما جاء الغضب أيضاً من أنصار إسرائيل من المحافظين الجدد وأتباع الحركة الأنجليكية من المسيحيين المتطرفين، والذين لا يكتفون بتأييد إسرائيل ودعمها فقط، بل ويعملون أيضاً على تغذية مشاعر العداء والكراهية ضد العرب والمسلمين مستخدمين كافة وسائل الإعلام المتاحة لهم والتي تتزايد عدداً وعدة كل يوم. إلى جانب ذلك، قام العديد من أساتذة الجامعات من اليهود المناصرين لإسرائيل والمؤيدين لجزئيتها بحق العرب بنسيان مبدأ الحرية الأكاديمية من أجل إسكات كل الأصوات وإخفاء كل الحقائق التي تجرؤ على كشف بعض جوانب العلاقة المرضية الإجرامية التي تربط أمريكا بدولة إسرائيل.

وبالرغم من كل ادعاءات الإعلام الأمريكي بالحيادية إلا أنه لم يستطع الوقوف موقف المراقب أو المتابع لما يجري، وكما يجب، بل شارك في الحملة المضللة على كل من ميرشهايمر وولت. وعلى سبيل المثال، أشارت صحيفة الواشنطن بوست إلى الدراسة بربطها باسم ديفيد ديوك، أحد ساسة ولاية لويزيانا الفاشلين ذوي المواقف المعادية للسود. ولقد حاول ديوك قبل أكثر من عقد من الزمن دخول الكونغرس من منطلق عنصري، لكنه فشل ولم يسمع منه أو عنه شيئاً، حتى تمخضت عقيرة محرري الواشنطن بوست بإيجاد طريقة غير مباشرة للتشهير بمؤلفي الدراسة المتعلقة باللوبي الصهيوني. حيث قامت الجريدة التي يشاع بأنها رصينة وحيادية بإعادة إحياء اسم ديوك وربطه باسم الأستاذين في عملية إعلامية غاية في الخبث والقبح، وذلك من أجل الإيحاء بأن مواقف وولت وميرشهايمر من إسرائيل هي الوجه الآخر لمواقف ديوك من السود.

وأود أن أشير هنا إلى أنني قمت بالاطلاع على آراء الأستاذين بشكل مستفيض قبل ثلاثة أعوام تقريباً حين طلب مني تدريس مادة "الأمن الدولي" لطلبة الماجستير في الدبلوماسية والعلاقات الدولية في جامعة الأخوين في المغرب. ولقد اكتشفت أن أفكارهم تقوم على أساس مبدأ الواقعية السياسية وسياسة القوة، وهي أفكار تتناقض مع أفكار الداعين لاستخدام الدبلوماسية لحل النزاعات الدولية. ويعتبر هنري كيسنجر من أشهر من مارس تلك النظرية قولاً وفعلًا حين شغل منصب مستشار الأمن القومي، ومن ثم وزير الخارجية الأمريكية أثناء إدارتي الرئيسين نيكسون وفورد في السبعينات من القرن الماضي.

تقوم فلسفة "الواقعية السياسية" والتي اعتقد أنها ترجمة غير موفقة للصياغة باللغة الإنجليزية "Realism"، على أن على كل دولة أن تعمل على حماية مصالحها وتقوية نفوذها وأن لا تتورع عن استخدام كل الوسائل المتاحة لديها لحماية تلك المصالح، كما تقوم أيضاً على الإيمان بأن العالم غاية صراع يسيطر فيها القوي على الضعيف. وعلى سبيل المثال، يقول ميرشهايمر أن المنظمات الدولية تعكس توازن القوى بين الدول، وبالتالي ليست قوة فاعلة على الساحة الدولية وليس لها تأثير على مسلكيات الدول، وأن حالة الصراع الدائم التي تهيم على العالم تحتم قيام كل دولة بتعزيز قواها العسكرية والعمل على تأمين أمنها وحماية مصالحها.

وهذا يعني أن الدراسة المتعلقة باللوبي الصهيوني لا تستهدف النيل من إسرائيل ولا التشكيك في حق اللوبي الصهيوني في الدفاع عن إسرائيل والعمل على حشد كل القوى لدعمها، وإنما تنطلق من

مبدأ البحث عن مصالح أمريكا. وفي هذا تقول الدراسة- باختصار- أن أساليب العمل التي يستخدمها اللوبي الصهيوني تضر بالممارسة الديمقراطية في أمريكا، وأن أشكال الدعم التي يوفرها اللوبي الصهيوني لإسرائيل تتعارض مع المصالح الأمريكية، بما في ذلك المصالح الأمنية، كما أنها تساهم في زيادة خطر الإرهاب ضد أمريكا وحلفائها وزيادة حدة العداء والكراهية لأمريكا في العالمين العربي والإسلامي.

وأود أن أشير هنا إلى أنني كتبت أول وآخر كتاب حول موضوع الدراسة في عام 1988، تحت عنوان: سياسات المعونة الخارجية: برنامج المساعدات الأمريكية والمعونات لإسرائيل. The Politics of Aid to Israel Foreign Aid: US Foreign Assistance and Aid الأمريكية بنشره في حينه، وهي بريجر(Praeger). وبعد صدور الكتاب بعامين قمت بتحديثه وترجمته إلى العربية وقامت مؤسسة الدراسات العربية بنشره تحت عنوان: المعونات الأمريكية لإسرائيل.

وبالرغم من مضي حوالي 18 عاما على صدور الكتاب، إلا أنه لا زال المرجع الوحيد في موضوع المعونات الأمريكية لإسرائيل ودور اللوبي الصهيوني في تأمين ذلك الدعم. وهذا لا يعود لعدم قدرة أي شخص آخر على إعداد كتاب حول هذا الموضوع، وإنما لعدم جرأة أي شخص آخر على الخوض في هذا الموضوع الخطير. ولا بد من الاعتراف هنا، ولأول مرة، أن ذلك الكتاب كلفني الكثير، حيث كان سببا في محاربتني أكاديميا، وفي تهديدي أكثر من مرة قولاً وفعلاً، وفي تعرض أولادي للإرهاب منذ الطفولة وحتى التخرج من الجامعة، ومراقبة كل تحركاتي، وحرمانني من ممارسة حقي في إلقاء المحاضرات، ومعاينة كل من دعائي للحديث عن القضية الفلسطينية من منظمات وجامعات. وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فلا بد من الإشارة هنا أيضا إلى أن ابنتي تخرجنا من جامعة هارفارد، وتخرج ابني من جامعة شيكاغو، الجامعتين التي ينتمي إليها مؤلفي الدراسة.

قامت الدراسة بتحليل عدة نقاط هامة تتعلق بنشاطات اللوبي الصهيوني وأساليب عمله على مختلف الساحات السياسية والأمنية والأكاديمية والانتخابية في أمريكا، والإشارة إلى مدى الدعم المالي والعسكري والدبلوماسي الذي تقدمه الحكومة الأمريكية لإسرائيل، وتنفيذ الحجج التي يسوقها اللوبي لتبرير ذلك الدعم وتجنيد أعضاء الكونجرس وغيرهم لدعم سياسات إسرائيل التوسعية ومطامعها الإقليمية. كما حاولت الدراسة تحليل ونقد علاقة الدعم الأمريكي لإسرائيل بالإرهاب الدولي، ودور اللوبي في حمل إدارة بوش على غزو العراق، وفي طرح مفهوم الشرق الأوسط الجديد، وغير ذلك من قضايا هامة. وبسبب أهمية الدراسة واهتمامي بهذا الموضوع سوف أقوم بعرض ومناقشة ما جاء فيها في عدة مقالات متتابعة.